

299472 - هل الأولى أن تعجل العقوبة للعبد في الدنيا أم أن يعافيه الله تعالى ؟

السؤال

سمعت أحد المشايخ في شرح حديث : (إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا... الحديث) يقول : والعافية أن يعافيك الله في الدنيا والآخرة بعدم العقوبة ، سؤالي : هل هناك تعارض ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

بداية: الحديث المذكور حديث صحيح ، أخرجه الترمذي في "سننه" (2396) ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ ، حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .**

والحديث صححه ابن حجر في "فتح الباري" (8/124) ، والشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (1220) .

ولا تعارض بين الحديث وبين أن يَمُنَّ الله على عبده بالعافية ، وبيان ذلك كما يلي :

أن الناس في نزول العقوبات الربانية عليهم أصناف :

الصنف الأول :

وهم أهل العافية ، ممن عفا الله عنهم فعافاهم من العقوبة في الدنيا والآخرة ، وهذه هي العافية المطلقة ، أن يُعَافِيَ الله عبده من شؤم المعاصي في الدنيا ، وأن يعفو عن زلاته، ويعافيه من العقوبة في الدنيا والآخرة .

قال ابن القيم في "شفاء العليل" (ص111) : " وقوله : " وعافني فيمن عافيت " إنما يسأل ربه العافية المطلقة ، وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان، والغفلة والإعراض، وفعل ما لا يحبه، وترك ما يحبه ؛ فهذا حقيقة العافية ، ولهذا ما سئل الرب شيئاً أحب إليه من العافية لأنها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه " انتهى .

وهذا الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله به في كثير من أحواله .

فكان يدعو حين يصبح وحين يمسي بالعافية في دينه ودنياه .

فقد روى أبو داود في "سننه" (5074) ، من حديث عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : " سمعتُ ابنَ عمر يقولُ: لم يكن

رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يدعُ هؤلاء الدعواتِ حينَ يُمسيّ وحينَ يُصبحُ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي ، وَأَمِنْ رَوْعَاتِي ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، وَمَنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي ."**

والحديث صححه الشيخ الألباني في "صحيح ابن ماجه" (3121) .

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله في قنوته فيقول: (وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ) .

أخرجه الترمذي في "سننه" (464) ، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (1281) .

ولذا كانت العافية هي خير ما أعطى الله عبده بعد الإيمان واليقين ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن نسأل الله إياها ، كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي في "سننه" (3558) ، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ .**

والحديث صححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (2821) .

الصنف الثاني :

من أهل الإيمان ممن لهم ذنوب يستحقون بها العقوبة ، ولم ينلهم في الدنيا عفو الله عنها ، فهؤلاء إذا أراد الله بهم الخير، عجل لهم العقوبة في الدنيا ، فينمّر ذلك فيهم توبة إلى الله ، ثم لا يعاقبون عليها يوم القيامة ، ويكون هذا رحمة من الله بهم .

قال ابن القيم في "زاد المعاد" (3/506) : **" وَفِي نَهْيِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ: دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِهِمْ وَكَذِبِ الْبَاقِينَ ، فَأَرَادَ هَجْرَ الصَّادِقِينَ وَتَأْدِيبَهُمْ عَلَى هَذَا الذَّنْبِ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَجُرْمُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُقَابَلَ بِالْهَجْرِ ، فَدَوَاءُ هَذَا الْمَرَضِ لَا يَعْمَلُ فِي مَرَضِ النِّفَاقِ ، وَلَا فَائِدَةٌ فِيهِ .**

وَهَكَذَا يَفْعَلُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ بِعِبَادِهِ فِي عُقُوبَاتِ جَرَائِمِهِمْ ، فَيُؤَدِّبُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُحِبُّهُ ، وَهُوَ كَرِيمٌ عِنْدَهُ ، بِأَدْنَى زَلَّةٍ وَهَفْوَةٍ ، فَلَا يَزَالُ مُسْتَيْفِظًا حَذِرًا .

وَأَمَّا مَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ ، وَكُلَّمَا أَحْدَثَ ذَنْبًا ، أَحْدَثَ لَهُ نِعْمَةً ، وَالْمَعْرُورُ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ الْإِهَانَةِ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ ، وَالْعُقُوبَةَ الَّتِي لَا عَاقِبَةَ مَعَهَا ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَمْسَكَ عَنْهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، فَيُرَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِذُنُوبِهِ) " انتهى.

ولا يعني هذا أن العبد المبتلى بالمعاقب على بعض ذنوبه خير من العبد المعافى ، بل لا يصح أن يتمنى مسلم أن يكون من أهل

البلاء، حتى تخفف عقوبته يوم القيامة ، وإنما المشروع للعبد أن يسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، فإن أهل العافية أعلى حالا ومقاما من هذا الصنف ، ثم إنه لا يدري هل لو نزل به البلاء أيصبر أم يجزع .

فقد روى مسلم في "صحيحه" (2688) ، من حديث أنس: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟** قَالَ: نَعَمْ ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ ، فَشَفَّاهُ " .

فهذا الصحابي دعا الله أن يعجل له العقوبة في الدنيا، فكاد أن يهلك ، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

قال القاضي عياض في " إكمال المعلم " (8/186) : " وفيه كراهة تمنى البلاء ، وإن كان على الوجه الذي فعله هذا ، فإنه قد لا يطيقه ، فيحمله شدة الضرر على السخط والتندم والتشكي من ربه " انتهى.

ولا شك أن الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم هو الأعلى والأكمل ، وهو المعافاة .

فقد روى الإمام الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (5/291) هذا الحديث ، ثم قال : " فقال قائلٌ كَيْفَ تَقْبَلُونَ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتُمْ قَدْ رَوَيْتُمْ عَنْهُ فَذَكَرْنَا مَا قَدْ حَدَّثَنَا يُؤْنَسُ .. ثم ساق إسناده إلى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِعَبْدِهِ شَرًّا أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَفِّيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " قال هذا القائل: فإذا كان الأمر على ما في هذا الحديث، فلم لحق اللوم من سأل ربه أن يعجل له العقوبة في الدنيا ، ليسلم منها في الآخرة ؟

فَكَانَ جَوَابًا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ : أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ مِنَ الْحَدِيثِ الثَّانِي كَمَا ذَكَرَ ، وَالَّذِي فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ غَيْرُ مُخَالَفٍ لِذَلِكَ ، غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَارَ لِأُمَّتِهِ ، إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةً لَهُمْ وَرَأْفَةً بِهِمْ : أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمُعَافَاةِ فِي الدُّنْيَا ، مِمَّا مِثْلُ ذَلِكَ الرَّجُلِ فِيهِ ، وَأَنْ يُؤْتِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا يُؤْمِنُهُمْ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ؛ وَهَذِهِ الْحَالُ : فَهِيَ أَعْلَى الْأَحْوَالِ كُلِّهَا .

فَبَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ : أَنَّ لَا تَضَادَّ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ ، وَلَا اخْتِلَافَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَأَهُ التَّوْفِيقَ " انتهى.

وقال ابن قدامة في "مختصر منهاج القاصدين" (ص294) : " فإن قال قائل: الأخبار الواردة في فضل الصبر: تدل على أن البلاء في الدنيا خير من النعيم ، فهل لنا أن نسأل الله عز وجل البلاء؟

فالجواب: أنه لا وجه لذلك ، فإن في الحديث من رواية أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد رجلاً من المسلمين صار مثل الفرخ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " هل كنت تدعو بشيء أو تسأله؟ " قال: نعم ، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة ، فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " سبحان الله لا تطيقه ولا

تستطيعه ، فهلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار". ، ومن حديث أنس رضى الله عنه أيضاً ، أن رجلاً قال: يا نبي الله: أي الدعاء أفضل؟ قال: "سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة" ثم أتاه الغد ، فقال يا رسول الله ، أي الدعاء أفضل؟ قال: "سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة" ، ثم أتاه اليوم الثالث، فقال: "سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، فإن أعطيت العفو والعافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت".

وفى "الصحيحين" انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: "تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء". وقال مطرف: لأن أعافى فأشكر ، أحب إليّ من أن ابتلى فأصبر " انتهى .

وقال الشيخ ابن عثيمين في "القول المفيد" (2/76) : "وقوله : "عجل له العقوبة في الدنيا" . كان ذلك خيراً من تأخيرها للآخرة ، لأنه يزول وينتهى ، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للمتلاعنين : "إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة"

وهناك خير أولى من ذلك، وهو العفو عن الذنب ، وهذا أعلى ، لأن الله إذا لم يعاقبه في الدنيا ولا في الآخرة ، فهذا هو الخير كله ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - جعل تعجيل العقوبة خيراً ، باعتبار أن تأخر العقوبة إلى الآخرة أشد ، كما قال تعالى : (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) [طه : 127] " انتهى.

الصف الثالث :

ممن أسرفوا على أنفسهم بإتيان الكبائر والموبقات ، ثم لم يعف الله عنهم في الدنيا ، ولم يعجل لهم العقوبة ، فهؤلاء في الظاهر في عافية من البلاء ، إلا أنهم على خطر عظيم ، إذ إن الله أمسك عنهم العقوبة في الدنيا ، ليغلظ عليهم العذاب في الآخرة .

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (17311) ، من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ** ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** الأنعام/44 .

والحديث صححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (413) .

وختاماً :

فقد تبين مما سبق أنه لا تعارض بين الحديث وبين أن يسأل العبد ربه العافية ، وأن عفو الله عن عبده وعافيته له من العقوبة في الدنيا والآخرة هي أوسع وأفضل للعبد من العقوبة ، وإن لم يكن العبد من أهل العافية، فإن يعاقبه الله ويبتليه ببعض ذنوبه في الدنيا ، ثم يصبره على البلاء: خير له من أن يمسك الله عنه العقوبة ، فيأتي يوم القيامة مثقلاً بأوزاره ، معذباً بذنوبه ، عافانا الله وإياكم في الدنيا والآخرة ، إنه عفو كريم .